الباب الرابع

امتياز شعر أبي نواس

كان أبو نواس رجلا ذات شهرة في الشعر في العصر العباسي. وله عدة أنواع الشعر. ولكن كان أهم شعره هو الخمرية حيث كان الشعر الخمري لون خاص بالنسبة لشعره.

وللخمريات نفسها تسمية تُطلق على الأشعار التي تتناول عالم الشراب، بدءاً بالخمرة وأوصافها، مروراً بأوانيها وأشكالها، ورجوعاً إلى مواطنها وكرومها ووصفاً لمجالسها وما تضمّه من سُقاة وندمان وغناء ولهو وطرب، وتتبّعاً لتأثيرها في النفس ودبيبها في مفاصل الجسد، وما يحصل منها من نشوة وخيلاء وما يجري في مجالسها من طرائف ولطائف، وطقوس وشعائر، وغير ذلك ممّا جعل القصائد الخمرية أوالأبيات التي تضمّها قصائد الشعر العربي في هذا الموضوع تحتّل مكانة بارزة فى الأدب العربى.

ولاشك أنّ أبا نواس رائد الشعر الخمري على مرّ العصور لاتخاذه الخمرة مدخلاً إلى عالم السياسة والسعادة

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

والجمال والمعرفة ومخرجاً وحيداً من سجن المجتمع وأعرافه وتقاليده ومن مأزق الوجود.

ويمتاز بشعره الخمري، واقترن ذكره بالخمرة وبقي اسمه ملازماً لها حتّى يومنا هذا. قيلَ: إنّه شاعر الخمر وقيل: إنّه مؤسس مدرسة الخمر، واعتبره الكثيرون زعيماً بلا منازع للخمريات في الأدب العربي، ولا شكّ في صحّة جميع هذه السمات.

وبلغت الخمرةُ عنده مرتبة كبيرة من التعظيم والتقديس، على حسب الظاهر، بحيثُ أنّه استطاعَ أن يخلق منها عالماً شعرياً يجسّد من خِلاله طاقته الروحية والإبداعيّة والفكرية، بحيث قد بيّنتْ خمرته عمق نظرته إلى الحياة والوجود والإنسانية، فيخلق بواسطتها عالماً جديداً متفّرداً بأفكاره وآرائه وبإمكاننا أن نسمّيه عالماً نواسيّاً. خمرته خمرة يمتزج فيها الإحساس بالفكر والروح، وتذوب فيها النفس شوقاً إلى الخلاص من المصائب والآلام. فيها صفات كلّ ما

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

هو جميل ونقّى، تحنّ إلى الصور والأسرار وتتكلّم بالإيحاءات، فهي محرم الأسرار.[٥٦]

وبا النسبة للشعر الخمري نفسه ليس من الموضوعات الجديدة، وقد عرف فى العصور الجاهلية والإسلامية والأموية، ولكنّه لم يكن فنّا مستقلّا، بل إنّما الشعراء كانوا يقصدون إلى غرض أصلي وهو الفخر أو التمدحّ بالمحاسن والأخلاق الكريمة. والثاني هو أنّ الألفاظ المستعملة والمعاني المقصودة كانت متكررّة إلى حد كبير.

والشعراء الذين وصفوا الخمر أجادوا فيها بعض الإجادة ولم يكن وصفهم عميقا بل كانوا يقنعون بالظواهر، يصفون أقداحها وأباريقها ومكان شرائها وصفاً مجملاً ويصفون طعمها عند المزاج بالماء وما تُثير من نشوة غير مبالغين في هذا الوصف ولا مسرفين في البحث عن الدقائق. ولكنّهم لم يبلغوا من الصقل والصفاء ما بلغه أبو نواس.

---

[٥٦] http://www.diwanalarab.com/spip.php?article٢٨٠٦٦ الوصول إليها فس ٢٣ مايو ٢٠١٢، ساعة ٠٢: ٣٠.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

١. امتياز شعر أبي نواس

لاشك أن لأبي نواس واسعة في عالم الخمر ووصفها ولأبي نواس نهج خاص في أسلوب عرض خاص فإلى جانب نشوته بالخمر فهو دائم التعبير عن عصره ومشاعره.

فالرقي الفكري والازدهار العلمي فيعصر أبا نواس كان دافعاً لأمال هؤلاء الشعراء للبحث عن الجديد من الموضوعات والأفكار والمعاني والتحضر الذي ساد العصر دفع أبا نواس إلى استحداث أسلوب جديد مولد.

وهو أسلوب يعتمد على الألفاظ الواسطة بين لغة البدو الزاخرة بالكلمات الوحشية – ولغة العامة الزاخرة بالكلمات غير الغربية، وهو الشاعر الفد الفريد الذي حافظ على مادة اللغة ومضمونها الصرفية والنحوية ولائم بين حوشي اللغة وغريبها وبين حياة بني العباس المتحضرة فنراه يؤثر الليونة والسهولة عند الحديث عن خمرته، فهو تشكيلي يتقن لوحه الخمر ويلونها بأجمل الألوان البديعية.

فتلك صفات ومعاني سبقه إليها الأعشى والأخطل وغيرهم وليس هذا فحسب بل راح يولد المعاني الخاصة به التي لم يسبقه إليها أحد بحيث ضمن خمرته معطيات فلسفية

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

وعلمية وأفكاراً جديدة ونزعات سياسية واجتماعية، فغدت خمرته فتاة بكراً ترفل بأثوابها وتدور بينها وبين نداماها محاورات وقصص، فهو الذي أنس بالخمر لأنه عشقها ووجد بها فيراها تضحك له، وعيونها جميلة وكأسها ياقوته يداعبها ويناظرها ويحاورها الوصل إلى قمة اللذة وقنة الشهوة وينتهي شرابه وقد قضى وطره منها، فلا رادع يردعه ولا شيء يمنعه.

وأما ساقية سواء كان فتاة أم غلام فينعته بالنعوت الجميلة فهو الزين المنطق حلو المنطق رقيق الطبع مخنث اللفظ جميل المقلة. فهو ينتقي أفضل الحانات وأفضل الخمور.

ولاحظ الباحث أن شعر أبي نواس تنقسم إلى أنواع عديدة من فنون الشعر. ومال أبو نواس أن يستخدم الأسلوب البسيط حيث استخدم اللغة الفصيحة والتراكيب المبسطة. كما كتب ذلك عمر فروخ:

وأبو نواس شاعر على المذهب البغدادي وهو الشاعر المحدث الذي يمثل الاتجاه الأدبي في صدر العباسي أصدق تمثيل. ثم هو شاعر مكثّر تصرف في معظم فنون الشعر من مديح وهجاء ورثاء وعتاب وغزل مؤنث ومذكر وطرد وخمر وزهد. وكان بصيرا

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

باللغة متين الأسلوب يميل إلى الألفاظ الفصيحة والتراكيب السهل الواضح، وخصوصا في فنونه الوجدانية وكان يكره الصناعة كرها شديدا. ويمثل اللهو في شعر أبي نواس في ثلاثة أغراض: في الغزل وفي الطرد (وصف الصيد) وفي الخمر.[٥٧]

وكان أحسن شعره ما أجاد في فن إجادته فيها، وله أشعار في الخمر لم يقل أحد غيره يمثله فيه. وقصر القصيدة على الخمر كما قصر عمر من قبل القصيدة على الغزل، وادخل القصص على شعره في الخمر.[٥٨]

إن الخمرة عند أبي نواس ترقق الطباع فترقق معها ديباجة الشاعر وألفاظه ومعاينة وصورة حتى تكون لديه النشوة نشوتين والسكرة سكرتين ذاك خاص بأبي نواس: فللجميع – غيره – سكرة واحدة وصفها ووصف مجالسها وما يدور فيها وخمرته ألطف من الماء وأرق من النور، بل تلذ الأنوار وأضواء، بل هي شراب الكرام من الناس، لأنها تعبث في نفسه نشوتين وتخصصه دون غيره من الندمان بتلك

---

[٥٧] عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي، (بيروت: دار العلوم الملامين، د.س.)، الجزء الثاني، ص. ١٦٠.

[٥٨] نفسه، ص. ١٦٠—١٦١.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

النشوتين نشوة الخمر ونشوة الساقية، لذا راح يوغل في مرامي الخمرة ومعانيها وفلسفاتها وتأثيرها حتى وضع لها دستوراً ومراسم لشربها.

وبالنسبة لأسلوب شعر أبي نواس على شكل عام أنه امتاز في حس دقيق وذوق مرهف، يعرف عن طريقهما كيف يختار أرق الألفاظ وأرشقها واخفها في النطق وأحلاها في السمع، وكان يدنو في ذلك حتى يمس شغاف القلوب، إذا كان يحسن اختيار أسهل الألفاظ وأيسرها وأقربها إلى ما يجري على ألسنة الناس في حياتهم اليومية. ومن اجل ذلك كان يتجافى عن الفاظ القدماء، حتى في المديح، أو قل في كثير منه، فإنه كان يبتغي فيه أو على الأقل في بعضه أن يأخذ بألباب سامعيه بما يعرض عليهم من لغة عذبة تسيل خفة ورشاقة. وامتاز أيضا أن أراجيزه ووصفه للصيد وأدواته وجوارحه أكثر تمسكا بالقوالب القديمة، ونجد مثل ذلك، قوله في إحدى طردياته:-

لما تبدّى الصبح من حجابه كطلعة الأشمط من جلبابه
وانعدل الليل إلى مآبه كالحبشي افترّ عن أنيابه
هجنا بكلب طالما هجنا به ينتسف المقود كلابه

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

كـأن متـنيـة لـدى انسرابه متنا شجاع لـجّ في أنسيابـه
كـأنما الأظـفـور في قنابـه موسى صناع ردّ في نـصابه
كـأن نـسرا مـا تـوكـلنـا بـه يعفو على ما جرّ من ثيابـه
ترى سوام الوحش يحتوي به يـرحـن أسـرى ظـفره ونـابه

وتملـئ طردياتـه بمثـل هـذه الصـور تعـدّ ركنـا هامـا في شـعره إذ يكثر من التشبيهات والاستعارات.[٥٩]

والامتيـاز الأخـر لأبي نـواس في بنـاء شـعره أنـه يسـتطيع أن يختـار الألفـاظ الرقيقـة الرقيقـة والسـهملة في النطـق واليسـر في السـمع واسـتخدم اللغـة الفصـحى أقـرب إلى ألسـنة العـرب في حياتهم اليومية.[٦٠]

وكانـت لغـة أبي نـواس يظهـر في كثـير منهـا العبـارات الغثـة الجاريـة علـى ألسـنة العامـة.[٦١] وكـان كـان أبـو نـواس قلمـا يـذهب مـذاهب القـدماء في أسـاليب الشـعر. وكثـيرا مـا يعـوض

---

[٥٩] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي، ٢٢٩—٢٣٠.

[٦٠] حسـين المسـيرة، الخمـرة في شـعر أبي نـواس المتـأثرة بحالتـه الاجتماعيـة والثقافيـة والسياسـية (دراسـة أدبيـة)، (سورابايا: جامعة سونن أمبيل الإسلامية الحكومية، ٢٠١٠)، ص. ٤١.

[٦١] كـارل بروكلمـان، تـاريخ الأدب العـربي، (القـاهرة: دار المعـارف، الطبعـة الرابعـة، د.س.)، الجـزء الثـاني، ص. ٢٧.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

في شعر أبي نواس سحر التعبير وعذوبة الجرس من ضيق معانيه وجدب خياله.[٦٢]

ومدائحه أقل وزنا في النظرة الشعرية المحضة إذ يبرز فيها بقوة جانب الصنعة والتكلف على حين يتجلى في مراثيه إحساس عميق ولون حزين صادق التأثير يحمل على التغاضي عن بعض عيوبه، ولاسيما تعبيره المصطنع، وغلوه الشرقي، أما غزلياته فتشمل على كثير من العاطفة المثبوبة الرقيقة والمذهب الشعري الصحيح بمقدار ما تشمل على أفحش العبث والمجون وهجاؤه حاد مقدع أحيانا، يصيب ببادرته المحز ولكنه يميل كثيرا إلى الفحش وهذا الاتجاه الأخير أيضا طابع فكاهاته ومجونه، على حين تبدو في عتابياته نزعة أقرب إلى الصدق والجد.[٦٣]

واستخدم أبو نواس المعاني الخمرية الجديدة التي لم يستخدمها من كان سبقه، وتلك الصور الفلسفية

---

[٦٢] نفس المرجع، ص. ٢٦.

[٦٣] A. V. Kremer, *Streifzuge II*, p. ٣٧١, Kulturgeschicht في بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ص. ٢٦.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

التي حاول أن يقدم من خلال أوصافه للخمر وتصور لها.[٦٤]

وربما كانت هذه الامتيازات لأبي نواس التي ذكرها الباحث فوقه تجعل أبا نواس مذكورا دوام التذكير حتى عصرنا اليوم، ولايشبهه أحد في عصره ولا من جاء بعده.

[٦٤] مصطفى الشكعة، الشعر والشعراء في العصر العباسي، (بيروت: دار العلم للملايين ، د.س.)، ص.٢٠٩.

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id